

# **المبحث الرابع: في عمل الفقهاء في توسيعه المسائل**

يندر أن تمر بك مسألة في هذا الشرح ونحوه إلا وفيها روايات أو وجوه، أو قولان أو وجهان إلخ، وذلك شأن المسائل التي طريقها الاجتهاد والتي تتوارد عليها أدلة أو تعليلات متنوعة، فإن فقهاء المذهب قد أكثروا التصانيف في المسائل الفقهية، وبذلوا جهدهم في تتبع الروايات عن إمامهم في كل مسألة، وأفرد بعضهم المسائل الخلافية بالتأليف، فللشيخ أبي بكر عبد العزيز مؤلف سماه بالقولين، وللقاضي أبي يعلى كتاب كبير باسم الروايتين والوجوهين، ومثله أيضاً نحوه لابنه أبي الحسين وكذا لأبي الوفاء بن عقيل وغيرهم، وحيث التزموا ذكر المسائل التي فيها أكثر من روایة فإنك تراهم يكترون من الأمثلة ويطلق الكثير منهم الخلاف ولو تفاوتت الروايات من حيث الصحة والشهرة وكثرة الناقلين لبعضها، ولعل قصدتهم من تكثير الروايات أن يتعدى القارئ المستفيدين على البحث والتفتيش لا طلب الراجح والمختار، وقد يكون قصدتهم التوسيعة على الناس، فإن وقوع هذه الخلافات عن الأئمة وفيما بينهم، في هذه الأحكام الفرعية توسيعة من الله ورحمة بعباده، لما فيها من التنفيذ على العباد، قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٤/١٥٩). والنزاع في الأحكام قد يكون رحمة إذا لم يُفصِّلْ إلى شر عظيم، من خفاء الحكم، ولهذا صنف رجل كتاباً سماه: كتاب الاختلاف، فقال الإمام أحمد - رحمة الله - سمه كتاب السعة. وإن كان الحق في نفس الأمر واحداً، فقد يكون من رحمة الله ببعض الناس خفاءه، لما في ظهوره من الشدة عليه. انتهى. ونقل أيضاً في الفتاوى (٣٠/٨٠). عن عمر بن عبد العزيز - رحمة الله - أنه قال: ما يسرني أن أصحاب رسول الله لم يختلفوا؛ لأنهم إذا اجتمعوا على قولهم فخالفهم رجل كان ضالاً، وإذا اختلفوا فأخذ رجل يقول هذا ورجل يقول هذا كان في الأمر سعة. أ.هـ. لكن الاختلاف متى أفضى إلى نزاع بين الأئمة وتقاطع وتدابر، أو إلى تعصب لبعض المذاهب، وتتكلف في رد الصواب، كان مذموماً، وعليه تحمل النواهي الواردة في القرآن كقوله تعالى: {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَقَرَّبُوا فِيهِ} وقوله: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاحْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} وقوله تعالى: {وَلَا تَنَازَّعُوا فَتَقْسَمُوا} وَتَنَاهَبَ رِيحُكُمْ} ونحوها من الآيات، وقوله - صلى الله عليه وسلم - {لا تختلفوا فتخالف قلوبكم} قطعة من حديث أبي مسعود الأنصاري في تسوية الصفوف وفيه "استووا ولا تختلفوا فتخالف قلوبكم" الحديث، رواه مسلم (٤/١٥٤) وأحمد (٤/١٢٢) والنسياني (٢/٩٠) وابن ماجه (٩٧٦) بنحوه، وروى أبو داود (٦٦٤) والنسياني (٩٠/٢) عن البراء - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمسح مناكيناً وصدرنا ويقول: (لا تختلفوا فتخالف قلوبكم) وروى الترمذى (٢/١٨) رقم (٢٢٨) عن ابن مسعود نحوه. وقوله: {اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا} رواه البخارى (٥٠٦١، ٥٠٦٢) ومسلم (١٦/٢١٨) عن جندب البجلي - رضي الله عنه - بنحوه. ذكر ذلك ابن القيم في "إعلام الموقعين" (١/٢٨٦). وغيره.